مستقبل الإبداع الأدبي البشري في ظلّ التطوّرات المتسارعة للرّقمية والذّكاء الاصطناعي

غنية جدع
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة، الجزائر.

الملخّص

تكمنُ أهميّة هذه الدّراسة في اشتغالها على موضوع مهم يجسّد انفتاحا رؤيويّا فنيّا وتكنولوجيّا هو ذلك التحوّل الذّي مسّ الشّكل الأدبي وغيّر فنيّات كتابته وتلقّيه، محاولة الإجابة عن تساؤلات أهمها: ما هي هذه التحوّلات وما أبرز الإشكاليات التي واجهته وكذا فيم تتمثّل تأثيراته على الأدب في مرحلته الكلاسيكيّة الورقيّة؟ ماهي عواقب ومستقبل الكتابة في ظلّ الذّكاء الاصطناعي؟

الكلمات المفتاحيّة: الشّكل الأدبي _ الورقيّة _ الرقمية _ الذّكاء الاصطناعي.

Abstract

The importance of this study lies in shedding light on an important topic that embodies a visionary artistic and technological openness, which is the transformation that affected the literary form and changed the techniques of writing and receiving it. It tries to answer questions such as: what are these transformations, what are the most prominent problems that it faced, as well as what are its effects on literature in its classic paper stage? What are the consequences and future trajectory of writing in context of artificial intelligence?

***Keywords**: literary form, paper, digital, artificial intelligence.*

مقدّمة:

لا مناص للأدب من التّفاعل مع متغيّرات الواقع والتّحولات التّاريخيّة الحاصلة، حيثُ استفاد من مفرزات التّكنولوجيا الحديثة، فالرّقميّة والتّكنولوجيا واقع يجعل من الإنسان يعي جيّدا أنّه يعيش ضمن منظومة فكر جديد رقمي، وأنّ مفهومه وحالته التّاريخيّة قد تغيّرت، فما عليه إلّا أن يتمثّلها ويُحسن التّعامل معها قبل أن تحتويه وتتجاوزه، فيصبح خارج التّاريخ -إن صحّ التّعبير- كما أسهمت هذه الفترة الما بعد حداثيّة والثّورة الرّقميّة في إظهار مفاهيم جديدة: كالذّكاء الاصطناعي والتّفاعل وأظهرت في المجال الأدبي مصطلحات أدبيّة رقميّة وأخرى تفاعليّة. وكغيره من المجالات المعرفيّة فالأدب الرّقمي نتاج ما توصّلت له التّكنولوجيا الغربية في ألمانيا وفرنسا، واستقبله الأدب العربي رغم وصوله متأخرا إلّا أنّ الاهتمام به يتزايد بشكل ملحوظ.

وبدت الحاجة مُلحّة لتغيّر أشكال الأدب بنية وفكرا وتلقيّا، بمعنى تغيّر نمط الكتابة الإبداعيّة من شكلها التّقليدي الورقي إلى بناء رقمي مغاير تماما للشّكل السّابق، ومن متلقّي متلهّف لملامسة الأوراق وتأمّل سطورها إلى قارئ رقمي، لابدّ له من امتلاك ثقافة رقميّة متمكّن من ولوج الشّبكة وفهم طريقة قراءة النّصوص الرقمية، وتصفّح الكتابات التفاعلية وفقا لتقنية النصوص الترابطيّة، دون أن ننسى الإشارة في هذا المقام لوجوب تطوّر آليات القراءة النّقدية بين مناهج النّقد وفهم قوانين البرمجة، ولن تتحقّق الفائدة من ذلك ما لم يجتمع برمجي متمكّن وناقد موضوعي كفء.

ولا تفوتنا الإشارة إلى واقع الذّكاء الاصطناعي وسرعته الكبيرة في التّطوّر، واستثماره في مختلف ميادين العلم والمعرفة والفن، تساؤلات كثيرة تشغل هذه الدّراسة من بينها:

-ما هي أبرز برامج الذّكاء الاصطناعي؟

- هل تستطيع برامج الذّكاء الاصطناعي أن تؤسّس لكتابة إبداعية وشعريّة خاصّة؟

-هل ستكون هذه البرامج سببا في خلق إشكاليات جديدة تشكّل خطرا على فنيات الإبداع الأدبي؟

وللإجابة عن الإشكاليّة السّابقة ومختلف التّساؤلات المتفرّعة عنها، اتّبعنا المنهج الوصفي والتّحليلي.

وقبل الغوص في هذا الموضوع (من الأدب الورقي إلى التّفاعلي) وما يكتنفه من تغيّرات وإشكالات، لابدّ من الإشارة إلى الموقف المتباين، حيثُ تفاوت بين القبول والرّفض، بين مقبل على هذا الأدب الرقمي؛ باعتبار التّكنولوجيا مكوّنا ومؤثّرا أساسيا ألفه في عصره، وبين متردّد خائف على ضياع قيمة ومكانة النصوص الورقيّة من جانب ورهبة من الجديد من جانب آخر.

فبين العقلية التي ألفت النّمطية في العرض والإبداع والعقليّة التي تتقبّل كلّ جديد بتلهّف يتأرجح مصير الأدب بين الورق والرّقميّة، فللورق قيمة حسيّة يصعب تجاوزها وللرّقمية قيمة التّيسير في الحصول على الكثير من الكتب الإلكترونية الرّقمية في وقت وجيز.

وللإجابة عن الإشكاليّة السّابقة، قد تمّ تقسيم محاور الدّراسة على النّحو التّالي:

-أوّلا/ تحوّلات الأشكال الأدبية من الورقية إلى الرقمية.

- ثانيا/ علاقة الأدب التّفاعلي بالأدب الورقي وموقفه منه.

- ثالثا/ أبرز الإشكاليات التي واجهت الأدب الرقمي والتّفاعلي.

رابعا/ من الأدب الرّقمي إلى أدب الذّكاء الاصطناعي: واقع وإشكالات.

أوّلا-تحوّلات الأشكال الأدبية من الورقية إلى الرقمية: تمارس التحوّلات الثقافية والاجتماعيّة تأثيرها المباشر في الإنسان ومنجزاته وكذا حاجياته، ولعلّ التطوّرات التّكنولوجيّة أثّرت تأثيرا واضحا على ثقافة الكتابة الأدبيّة وغيّرت من طريقة القراءة والتّلقّي، وأسهمت في خلق جوّ قرائي مغاير لما سبق، فتباينت المواقف من الأدب الرقمي: بين القبول والإقبال الكبير عليه والخوف من الخطر الذي يمارسه على الملكيّة الفكريّة للنص، وتمايزت الآراء حول مصير الأدب التّقليدي الورقي بين الاستمراريّة كونه الأصل وخطر الانقراض الذي بات يهدّده في ظلّ التطوّر الرقمي والتّكنولوجي السّريع، كما بدت الحاجة ماسّة لتغيير وسائل القراءة النّقديّة بتطوّر مادّة الأدب وشروط وكذا ظروف إنتاجه.

1-مصطلحات ومفاهيم رقمية:

تفاعلت التّقنيّة وتمازجت مع فنيّات الأدب فأنتجت لنا ما يعرف بالأدب الرّقمي، الّذي غدت أشكاله متنوّعة ومغايرة لأنماطها السّابقة، كنتيجة طبيعيّة لذلك الحوار البرمجي الأدبي، فكغيره من المجالات المعرفيّة والثقافيّة استفاد الأدب من التّكنولوجيا، ولعلّ القارئ اليوم محظوظ بذلك؛ كون التقنيّة سهّلت عليه الوصول للنّصوص التي يريدها دون قطع مسافات طويلة أو حتّى مغادرة مكانه، بمجرّد ولوجه الشّبكة وقبل ذلك امتلاكه لجهاز حاسوب يستطيع تشغيله.

وليس الحظّ في ذلك حكرا على القارئ فقط فحتّى الكتاب الرّقميين أيضا تجاوزوا تلك الصّعوبات والتحدّيات المرتبطة بشروط النّشر التّقليديّة لكتاباتهم، من خلال المنصّات الإلكترونيّة التي يصل لها عدد هائل من القرّاء الرّقميّين وهو ما يضمن تلقيّا أوسع من تلقّي الكتاب الورقي الذي ربّما يسعى قارئه للوصول إليه بصعوبة كبيرة تحكمها المسافات الطّويلة والوقت الطّويل، فالتّكنولوجيا هنا تجاوزت إشكاليّة المكان

والزمن وحقّقت ديمقراطيّة لدى المتلقّين من خلال تعزيز حظوظهم في الحصول على الكتابات بسهولة.

أوّل ما يمكن ملاحظته بالنّسبة للأدب الرّقمي هو تغيّر الوسيط، حيث كان الورق هو الأداة المعتمدة للكتابة، ولابدّ من الإشارة إلى الرحلة الطّويلة التي يقطعها النص للوصول إلى شكله الورقي النّهائي، وكل ما يتطلّبه من مقابل ماديّ لدور النشر إلى غير ذلك، أمّا اليوم فالوسيط هو جهاز الحاسوب، الذي يشترط وجود شبكة، وكاتب متمكّن من اللّعب على لوحة المفاتيح وفهم كل ما يتعلّق بأمور البرمجة.

وهو ما حقّق امتيازات للقارئ "فالبرنامج يسمح له بواسطة النّقر على الفأرة أو تشغيل لوحة المفاتيح، أو بتنشيط المصعد الانتقال في جسد النص بسرعة وحيويّة، إذ يكفي النّقر لمسة واحدة للانتقال إلى أيّ صفحة أو مجلّد من النص، أو العمل على تكبيره، أو تغيير خلفيّته، أو البحث فيه عن تواتر كلمة أو معناها... وحتّى عندما يكون القارئ عاجزا عن القيام بإحدى الفعاليات أو الوظائف، فيكفي النّقر على المساعد ليمكّنه من تجاوز العراقيل أو الصعوبات التي تعترضه" (يقطين، 2005، صفحة 124) وهو ما يعني تغيّر طريقة تعامل القارئ مع النص من طبيعته الورقيّة إلى شكله الإلكتروني الذي يتيح فرصة التحكم في عملية التلقّي.

والأمر هنا نسبي بين كُتّاب الأدب، فكم من مبدع متمكّن من فنيات الكتابة الأدبيّة لكنّه جاهل بقوانين البرمجة، وهنا تبرز الحاجة لضرورة الانفتاح على الثقافة بكلّ ما هو إلكتروني وتكنولوجي، وبإمكانه الاستعانة ببرمجي يعينه على الكتابة الرّقميّة، وبهذا يتّحدُ الفكر الأدبي والرّقمي بمعنى يمتزج العقل البرمجي بفنيات الأدب لنتجاوز إشكاليات تعترض سبيل الكتابة في الميدان الرّقمي، والأمر نفسه بالنّسبة للقارئ الرّقمي الذي يجدر به اكتساب مهارة وأبجديات الحاسوب، فهو أنواع – حدّدها سعيد يقطين-إمّا أن يكون قارئا إلكترونيا بطريقة نمطيّة يبدأ القراءة ثمّ يتوقف عند نقطة ما ليعود إليها ويكمل عمليّة القراءة أو أن يقرأ النص الترابطي بنشاط يتجوّل بين الرّوابط التشعبيّة فإمّا سيكون مصيره التّيه وسطها أو الوصول لمبتغاه إذا ما كان عارفا بغاياته ومقاصده من القراءة.

2-أنواع النص المترابط، مفهومه، خصائصه:

يحدّد 'سعيد يقطين' في كتابه (من النّص إلى النّص المترابط مدخل إلى جماليّات الإبداع التّفاعلي) أنواعا للنص المترابط، فهناك ما سمّاه التّوريق وهو ما يعتمد على قلب صفحات النص المترابط كالكتاب الورقي، وهناك الشّجري: وتترتّب معلوماته من الأصول إلى الفروع أو العكس، والنص التّرابطي النّجمي: وفيه تدور المفاهيم حول مفهوم مركزي، وكذا النص الترابطي التّوليفي: الذي يعطي للقارئ حرية اختيار الاتّجاه الذي يريد السير فيه انطلاقا من مجموعة من الروابط والعقد المحدودة فيه، والنص الجدولي الذي تمتزج فيه خصائص النص التّوليفي وكذا الشّبكي، وهذا الأخير(الشبكي) يجسّد مدلول النص المترابط بامتياز كونه يمكّن القارئ من التّفاعل وإنتاج نصّ، ليصل في الأخير لتحديد نوعين للنص المترابط: بسيط ومركّب. أمّا البسيط كونه قريب من الكتاب المطبوع، خطيّ محدّد المسارات يضمّ (التّوريقي، الشّجري والنّجمي) ونصّ مترابط مركّب غير محدود الرّوابط يمكّن قارئة من التّفاعل معه، ويضمّ (النص التوليفي والجدولي والشّبكي). وهو ما يستدعي وجوب تطوّر آليات الإبداع والتّلقي (يقطين، 2005، الصفحات 136-142).

بعدما تجاوز قارئ النص الرّقمي الوسيط الورقي واختار جهاز الحاسوب للقراءة يجد نفسه أمام أشكال أدبيّة مختلفة تماما، حيث حلّت الرّوابط التشعبيّة محلّ الفصول، وصارت الأصوات جنبا إلى جنب مع الصّور فعلى غير عادة كتابة النصوص الأدبية يستفيد الأدب الرّقمي من وسائط متعدّدة: أشكال، موسيقى، ألوان، أضواء، حركات، كإضافات على النّص الأدبي، وهو ما يجعل المتلقّي الرّقمي أمام اللّغة المكتوبة وما وراء اللّغة، كما أنّ البداية المحدّدة في الأشكال الأدبيّة السّابقة لم تعد موجودة وصار القارئ حرّا في اختيار البداية باختياره للرّابط الذي يريد أن يبدأ به قراءة النص الذي بين يديه، وهنا تتحدّد طبيعة القارئ تبعا لغرض القراءة، فهناك القارئ الجوّال الذي لا يمتلك معلومات كبيرة ولا ثقافة كافية بطبيعة النص المترابط ووظائفه، يتجوّل بين الرّوابط دون خبرة ليستكشفها بعيدا عن قدرات الإبحار الذّاتي الذي يمتلكه القارئ المبحر المحنّك الذي يدرك غاياته.

كما لا يمكن تجاهل الإشارة إلى أنّ مفهوم النصّ قد تغيّر وطبيعة القراءة اختلفت عمّا سبق، وصرنا بإزاء خطاب مكتوب مسموع متنوّع.

وتختلف اللغة الرّقمية عن اللغة في الكتابة الإبداعيّة الورقية، حيثُ تتمازج العلامات اللغوية مع العلامات غير اللغوية، فيكون القارئ الرّقمي أمام مجموعة من الصور والمؤثّرات الصّوتية، والألوان والأشكال التي تحمل دلالات وشفرات.

من هنا يمكن القول أن الأدب الرقمي مرحلة تطويريّة للشّكل الأدبي، غيّرت بنيته، لغته وطريقة تلقيه والتّفاعل معه، وليس قطيعة ابستيمولوجية مع المراحل السّابقة من عمر الأدب، "فكلّ شكل جديد لا يولد من العدم ولا يقوم على أساس القطيعة مع الشّكل التّعبيري الّذي سبقه، وإنّما يتشرّب منه بل يولد من حضنه ويستمرّ معه كبناء جديد" (الشمري، 2020، صفحة 12) ويتعلّق الأمر هنا بتغيّر سؤال الإبداع الأدبي نظرا لتغيّر

طبيعة الحياة الثقافية والظروف المحيطة بالإنسان الذي ما عليه إلا التّفاعل مع متغيّرات محيطه.

ولم يقف تطوّر الكتابة في ظلّ التّكنولوجيا عند الرقمية البسيطة فقط بل تعدّاه للتّفاعلية في إطار ما يعرف بالأدب التّفاعلي، وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ النصّ التّفاعلي لا يبقى مرتبطا بكاتب واحد كما هو الشأن مع النص التّقليدي الورقي، فبمجرّد وضع هذا الأدب على الشبكة يصبح تشاركيّا مع المتلقّين الرّقميّين، الذين يضيفون إليه ويحذفون منه ما يشاؤون وهنا نكون بإزاء النسق الإيجابي للنصّ المتفرّع، والذي يختلف عن النسق السّلبي من النّصوص الّتي لا يمكن للقارئ الإضافة عليها. وكتعريف موجز للنصّ المتفرّع فهو ذلك: "النّص غير الخطّي وغير التّعاقبي، الّذي لا تستدعي قراءته الالتزام بترتيب ثابت ومحدّد، ويستطيع قارئه القفز من فكرة إلى أخرى بسهولة" (Seyer, 1991, p. 1) عكس النص الورقي الذي يتطلّب قراءة خطيّة تقليديّة تتأسّس على التّرتيب من الصفحة الأولى في الفصل الأوّل إلى نهاية النص الورقي كما رسمها الكاتب للقارئ.

صار القارئ شريكا للمبدع التفاعلي وصارت قراءته "قراءة مضيفة (مساهمة في البناء) للخطاب... أصبحت القراءة كتابة جديدة للخطاب، ومن خلالها ينمو الخطاب بشكل دائري حول النواة الأولى، ويتضخّم في كلّ الاتّجاهات موسّعا الدّائرة، وفي الوقت نفسه مبتعدا عن النّواة، ممّا يشكّل مسارا حلزونيّا للخطاب الأدبي والفنّي التّفاعلي" (قريرة و فائزة، 2021، صفحة 43) فعلى سبيل المثال السّرد في الرّواية التّفاعليّة يختلف عنه في الرّواية الورقيّة باختلاف طبيعة هذا الإنتاج واختلاف طريقة تلقّيه، حيثُ "ينطلقُ من نواة سرديّة خاصّة بصاحب النّواة يتمّ تلقّيها بشكل حر، ثمّ تنفصل متّجهة إلى الأطراف مولّدة حلقة سردية حول النّواة يتمّ من خلالها تبادل الأدوار بين المتلقّي والمنتج الأوّل ثمّ تنفصل عن المتلقّي الّذي تحوّل إلى منتج ثان، مشكّلة حلقة جديدة أكثر بعدا عن النّواة وفي ذات الوقت أبعد زمنا عنها وعن الحلقة الأولى، ثمّ تستمرّ العمليّة في التّشكل مع كلّ قراءة وتعديل" (قريرة و فائزة، 2021، صفحة 49) ممّا يعني –حسب حمزة قريرة- تعدّد المسارات السّرديّة بتعدّد تأويلات المتلقّين، وكذا تغيّر دور الكاتب إلى متلقٍّ للنص كغيره من متلقي السرد التّفاعلي، وكذا مشاركة القارئ الرّقمي والنّاقد في إنتاج النص نظرا لتحوّله إلى لعبة تجذبه للإضافة والتّعديل عليها؛ كي يفهم كنهها ويستطيع الحكم عليها وهو ما يختلف عن التّأويل في قراءة النصوص الورقية من خلال مبدأ المشاركة في الأدب الرّقمي.

3-مفهوم المقاربة الميديولوجيّة ومستوياتها:

تحتاج الكتابة الرّقميّة إلى مقاربة ميديولوجيّة "وهي مقاربة وسائطيّة تعنى بدراسة الأدب الرّقمي دراسة تشريحيّة متكاملة المستويات، بالتّركيز على الوسيط الرّقمي في مختلف تجلّياته النصيّة والتّرابطيّة والنّقديّة والتّفاعليّة والتّقنيّة والتّفاعليّة والوظيفيّة والسّيميائيّة، وذلك في علاقة وطيدة بما هو أدبي وفنّي وجمالي وموضوعاتي وشكلي" (حمداوي، صفحة 106) كما يحدّد 'جميل حمداوي' مستويات منهجيّة للمقاربة الميديولوجيّة ترتبط بنوع النصّ الترابطي، نوجزها في ما يلي (حمداوي، الصفحات 106-115)

1-مستوى التّوريق أو التصفّح: قلب صفحات شاشة الحاسوب، التجوال والإبحار، التّفاعل.

2-مستوى التّشذير(la fragmentation): انطلاقا من التّفكيك والتّركيب يتمّ توزيع النص إلى ومقاطع وروابط شذرات، صوتيّة وحركيّة، وشذرات صور وهو ما يؤكّد طبيعة النّص الرّقمي الهجينة التي تتحاور فيها اللغة الأدبيّة مع الوسائط الميديولوجيّة المختلفة.

3-المستوى الفنّي الجمالي: وفيه ينصبّ الاهتمام بخصائص الجنس الأدبي الفنيّة واللغوية ومختلف مكوناته والجانب الرّقمي فيه: صوت، صورة، حركة...

4-المستوى الموضوعاتي: ويتمّ فيه تحديد تيمات النص والحقول الدّلاليّة والرقمية والوسائطيّة.

5-المستوى الوسائطي: يدرس القارئ الوسائط التّالية: النص في علاقته بالصوت، والصورة، والحاسوب، حيثُ يندمج النص الأدبي مع الصوت الموسيقي والصور، ويفسر مدلولات الحركات.

6-المستوى التّقني: يرصد الباحث تقنيّات النص الرّقمي، وتقنيات الصوت، الصّورة، الحاسوب، الحركة والشّاشة.

7-المستوى المرجعي: يحيل على عوالم النص الممكنة: الدّاخلية والخارجية، الافتراضيّة، وعوالم الشّبكة والنّوافذ والسياق النصّي التّلفظي.

8-المستوى التّفاعلي: ويرصد التّفاعل بين المؤلّف ومتلقّيه الرّقمي، الذي يضيف ملاحظاته وانتقاداته للنص.

9-المستوى اللّوغاريتمي: ويهتمّ بالعمليّات الرياضيّة والمنطقيّة والهندسية التي تتحكّم في توليد النصوص الأدبية الرّقميّة المتشعّبة.

بالإضافة إلى مستويات أخرى: الترابطي، التّحريك، التّناصي، الوظيفي.

بالإضافة إلى كلّ ما سبق فقد ولدّ الأدب الرقمي خاصيّة جديدة في الإبداع هي الكتابة الجماعيّة ومكّن الأدب الرّقمي الكاتب من التّواصل والتّفاعل المباشر مع المتلّقين وهو ما يسهم في تبادل الأفكار معهم وخلق تنوّع لغوي أسلوبي وثقافي لهذا

العمل المشارك تنوّع المشارب المعرفيّة لمختلف أطراف هذه العمليّة الأدبيّة التّفاعليّة.

كما مكّن الأدب الرّقمي أيضا من خلق جماليّات جديدة من التلقّي من خلال طبيعته التي تنفتح على جماليّة اللغة ووسائط تكنولوجية.

ثانيا-علاقة الأدب التّفاعلي بالأدب الورقي وموقفه منه: يعتقدُ الكثيرون أنّ الأدب التّفاعلي وكذا الأدب الرقمي هو مرحلة انتهاء كل ما هو ورقي تقليدي، لكنّ الحقيقة أنّ الرّقمية ما هي إلّا مرحلة تطويريّة من عمر الأدب، ولا يعني تجاوز الكتابات الورقيّة وأكبر دليل على ذلك هو بقاء وصمود دور نشر الكتاب الورقي مستمرّة في عملها، كما أنّ شغف القارئ بالكتب الورقيّة خاصّة لا يزال متواصلا، دون أن نتجاهل إقباله أيضا على الكتب الإلكترونيّة التي يتحصّل عليها بسهولة والفضل في ذلك يعود للتّكنولوجيا، ولا ننفي تقبّله لكلّ ما هو رقمي باعتباره حالة تاريخيّة ثقافية يعيشها عصره، فما على المثقّف العربي إلّا أن يحاول جاهدا فهم معطيات التّكنولوجيا والوعي بكلّ مخاطرها.

فالملاحظ أنّ الوسيط قد تغيّر فكانت الرّقميّة بشاشاتها نمطا مغايرا للورق، ولكنّ ذلك لا يعني إلغاء الأدب الورقي ولا حتّى تجاوزه، ولابدّ من تعريف القارئ بأنّ الأدب ومختلف العلوم والمجالات المعرفيّة تخضع لقانون الاستمرار والتطوّر، فالأدب الرّقمي خلاصة تطوّر الوعي الإنساني الذّي أوجد الوسيط الإلكتروني وطوّر نظام المعلوماتيّة، فكان الأدب بمختلف أجناسه وأنواعه التّعبيريّة مستفيدا من التطوّر الحاصل كضرورة لمواكبة العصر.

كما تعتبر المرحلة الإلكترونيّة من أبرز مراحل النص الأدبي، حيث ""تمثّل انتقالا من عهد إلى عهد، وتشبه الانتقال من حضارة المشافهة إلى حضارة الكتابة قديما. وقد شهد القرن العشرون انتقال آداب الإنسانيّة من حضارة الورق إلى حضارة التّكنولوجيا والإلكترونيات" (البريكي، 2005، صفحة 19)" التي سرعان ما عرفت انتشارا واسعا في العالم وفي مختلف الميادين، ولعل الأدب من أبرز المجالات التي اقتحمتها التّكنولوجيا الحديثة، ممّا أفرز عدّة مفاهيم وتغيّرات على نمط النص والمتلقّي وحتى المبدع، فصار المؤلّف رقميّا والنصّ كذلك، ونتيجة لذلك غدا المتلقّي رقميّا أيضا.

ثالثا- أبرز الإشكاليات التي واجهت الأدب الرقمي والتّفاعلي:

من أبرز الإشكاليات التي تواجه الأدب الرقمي تلك الرّهبة من ولوج هذا العالم أو ما يمكن تسميته بفوبيا المعلوماتية والخوف من ضياع النصوص الورقيّة وهو ما أدّى إلى قلّة الإنتاجات والكتابات في هذا الميدان المهم، وربّما يتعلّق الأمر أيضا بالخوف على الخصوصيّة، لكن وكما يرى 'سعيد يقطين' أنّنا "ما نزال أسيري مفاهيم تتّصل بالنّص الشفوي أو الكتابي، ولم نرق بعد إلى مستوى التّعامل مع النص الإلكتروني" (يقطين، من النص إلى النص المترابط، (مدخل إلى جماليّات الإبداع التّفاعلي)، 2005، صفحة 209) وربّما يرجع ذلك أساسا لتأخر ظهور الأدب الرّقمي في البيئة العربية وإشكاليّة صعوبة تقبل كلّ وافد جديد يحمل بين طيّاته إيديولوجيّات وثقافة تهدّد خصوصيّة الذّات العربيّة.

ترى 'فاطمة البريكي' –أحد أبرز المهتمين بالأدب الرقمي ونقده- أنّه "وعلى الرّغم من محدوديّة الإنتاج الأدبي الرّقمي المغاربي-كما العربي- إلّا أنّنا نسجّل بارتياح بوادر حركة نقدية نشطة تسعى إلى تأسيس ما يسمّى (النّقد الأدبي الرّقمي) تنظيرا وتطبيقا، وذلك من خلال توجّه بعض النقّاد إلى مقاربة نماذج من النّصوص الأدبيّة الرّقميّة العربيّة والغربيّة، كما فعلت الناقدة المغربيّة - (زهور كرام) والنّاقدة (لبيبة خمّار) والنّاقد المغربي (محمد أسليم) في ترجماته لنظريّات (الأدب الرّقمي) الغربية وغيرهم" (بلبركي و السعيد، إشكالات الكتابة النّقديّة المغاربيّة في مقاربات الأدب الرّقمي (المفهوم، الممنهج، القراءة)، 2021، صفحة 35) لكن ذلك خلق إشكاليّة كثرة الأعمال النّقدية للأدب الرّقمي وكذا التّفاعلي مقارنة بالإبداع. كما لا يمكننا تجاهل اهتمام الجامعات الجزائريّة خاصّة بهذا الميدان وسعيها للبحث في حيثيات هذا الموضوع تشجيعا للكتابة الرّقميّة وتثمينا للقراءات النّقديّة من خلال تنظيمها لملتقيات وطنيّة ودوليّة.

لكن وكما يرى 'جميل حمداوي' أنّ أغلب الباحثين المغاربة في مقارباتهم للنصوص الرّقميّة "يقاربون الأدب الرّقمي بمفاهيم النّقد الرّوائي، أو بمكوّنات القصّة القصيرة أو في ضوء مناهج نقديّة تأويليّة خارجيّة... أو يتسلّحون بأدوات الشّكلانية الرّوسيّة، أو بتقنيات النقد الجديد كما يرى آلان روب غرييه، وجان ريكاردو، وميشيل بورتو وكلود بريمون، وجيرار جينيت" (حمداوي، المقاربة الميديولوجيّة، نحو مشروع نقدي عربي جديد في دراسة الأدب الرقمي، 2017، صفحة 83) وفي حقيقة الأمر ليس من اليسير مقاربة النصوص الرقميّة مادامت الثقافة والوعي بالرّقمية في بداياتها، فمن المنطقي أن ينطلق النقاد من مناهج النقد الأدبي كبداية للتعرّف على هذا النص الجديد لكنّ تطوير القراءة النقدية الرّقمية واجب كي لا تبخس الطّبيعة الرقمية لهذا الأدب، وهو ما أشرنا له سابقا في فكرة تشارك الناقد والبرمجي في الإبداع الرّقمي كذلك الحال مع وجوب تحاور النّاقد الأدبي مع خبير برمجي في المقاربة والتّحليل.

يرى 'محمد السناجلة' أنّ ما نعيشه في السّنوات الأخيرة من تغيّر في نمط التّواصل البشري –والذي عدّه الكثيرون أمرا

غريبا أشبه بالخيال- لن يكون بمستوى غرابة الآتي ففي المستقبل القريب "من المتوقّع أن يصبح الكومبيوتر والأنترنت داخل جسد الإنسان وليس خارجه، حيثُ سيتمّ زرع رقاقة صغيرة جدّا داخل الدّماغ البشري، تؤمّن هذه الرّقاقة الاتّصال المباشر والدّائم مع الشّبكة الدّولية، وسيتمكّن هذا الإنسان الافتراضي من إنشاء اتّصال فوري مع الشّبكة، كما سيصبح الدّماغ البشري نفسه هو (الهارد ديسك) المحمّل بشتّى أصناف المعلومات" **(السناجلة، 2020، صفحة 14)** وعلى افتراض تحقّق هذا سيتغيّر مفهوم الإنسان ذاته وكذا مفهوم العقل البشري، لنكون أمام إنسان افتراضي وعقل افتراضي، لكنّ الإشكاليّة التي يجب طرحها في هذا المقام: أليس هذا قتلا للعقل البشري؟ وإن كان الإنسان من فكّر في كلّ هذا ووصل إلى هذه الفتوحات المعرفيّة فكيف لنا أن نلغي عقله بما صنع؟

وبما أنّ الأدب والفنّ نتاج العقل البشري فليسا بمنأى عن هذا التطوّر والاختلاف عمّا عهد سابقا، حيث يقول "السناجلة": "الرواية الرقمية لا جوهر لها إن لم تكن مختلفة ومغايرة وملعونة في غربتها وبحثها المستمر عن غير الممكن، وذلك لأنّ الرواية حين تستقرّ على شكل معيّن تنتهي من كونها إبداعا لتصبح أي شيء آخر، رتابة وبلادة وموتا، والرواية الرقميّة هي الرواية القادمة، ولن تتوقّف عندها" **(السناجلة، 2020، صفحة 15)** حيثُ ستخضع لتغيّرات عديدة بتطوّر التقنيّة.

وهناك العديد من الإشكاليّات التي تحيط بالأدب والمتلقّي الرّقمي نحاول إيجازها في الآتي:

-إشكاليّة تشتيت ذهن القارئ وقلة تركيزه نظرا لتعدّد الرّوابط وتمايز العلامات: بعدما ألف القارئ تصفّح الورق والتّرتيب النّمطي للفصول جاءت الرّقميّة بالإضافات من خلال الدّمج بين الصور والصوت والحركة وكذا تعددت الروابط وهو ما قد يؤثّر بشكل سلبي على تركيز القارئ.

-فقدان لذّة التّجربة الحسيّة في ملامسة الكتاب الورقي، رائحته، لون صفحاته: حيثُ تختلف طبيعة القراءة وتتأثر نفسية المتلقّي، كون ملامسة الورق وتحسّسه لها بُعدها الرّوحي ومكانتها الخاصّة لدى كل من ألف معانقة الورق.

-تفاوت الوصول بين الأفراد للأدب الرّقمي بسبب ضعف الشّبكة من مكان لآخر: ولعلّ ضعف شبكة النت من أصعب المشكلات التي تواجه المتلقّي الذي تعوّد على سهولة الوصول للكتاب الرقمي، في المقابل ضعف أو انعدام الشبكة يضعف شغفه ويؤثّر عليها تأثيرا سلبيا.

رابعا- من الأدب الرّقمي إلى أدب الذّكاء الاصطناعي: واقع وإشكالات:

لو تأمّلنا الواقع التّكنولوجي وما وصل إليه الذّكاء الاصطناعي سيتبادر إلى الأذهان خطر محاصرتها لكلّ ما هو إنساني، وربّما سيفكّر البعض في إمكانيّة أن تحلّ الآلة محلّ البشر، فكما نشاهد في إعلانات الغرب وما ينشرونه عبر مختلف وسائل التواصل التي أنتجوها مدى التّطور الحاصل في هذا الميدان، حيثُ صارت الآلة بمثابة حلّ لكلّ صعوبة تواجه الإنسان على بساطتها، وهو ما قد يرسّخ سياسة التّواكل البشري، وهو ما يوحي بمدى التطوّر المتوقّع حصوله على مستوى الإبداع الرّقمي أيضا.

كما أنّ التطوّر المتسارع جدّا لبرامج الذكاء الاصطناعي والآلة يحمل في طيّاتها خطورة احتكارها بيد القلّة فقط لا العامّة، " (النور، 2005، صفحة 91) وربّما الأكثر خطورة تفوّق الآلة على العقل البشري.

فلرّبما لن نتحدّث عن كاتب افتراضي هو إنسان في الواقع، فقد تتحوّل الآلة إلى كاتب من نوع آخر، عبارة عن خوارزميات وبرامج صُمّمت للكتابة في أي موضوع، وهو ما قد يحمل بين طيّاته تهديدا لفنيّة الكتابة الإبداعيّة من جهة ومن جهة أخرى سيتحوّل الأدب من كاتب مبدع لبرمجي قد يجهل فهم وتفسير عبارة فنيّة أوكل فيها مهام الكتابة الأدبية للآلة، لذلك أشرنا لضرورة تكاتف الجهود في الكتابة الرّقمية بين المبدع الأدبي والبرمجي المحنّك حتى في إعداد خوارزمات اللّغة الأدبية.

فمن جهة لا نقع في إشكالية فقدان النّص الأدبي الرقمي لفنيّات الكتابة الإبداعيّة، ومن جهة أخرى يستفيد كل من البرمجي والكاتب من خبرة بعضهم البعض.

ولا مناص لنا من الإقرار بمدى التّطوّر الشّكلي والنّوعي والفكري الّذي مسّ الأدب في عصر الرّقمية وما زال يتطوّر ويختلف عمّا سبق في فترة الذّكاء الاصطناعي.

لكنّ الإشارة إلى خفايا هذه الذّهنيّة واجب، الذهنية التي تضمر في طيّاتها إشكاليّة الموت: موت الإنسان بظهور الآلة، وموت المؤلّف الحقيقي الأوّل بتعدّد الكتّاب الرّقميّين، وربّما موت الكتّاب الرّقميّين بميلاد أدب الذّكاء الاصطناعي الّذي ستكتبه الآلة.

1-نموذج شعري بواسطة برامج الذّكاء الاصطناعي:

لعلّ محاورة أحد برامج الذّكاء الاصطناعي ليكتب لنا شعرا عن الأم سيوقفنا عند واقع هذا الجديد وإشكاليات يضعها أمام النّص الشّعري، مدى شعريّة النص المكتوب وعلى ما استند في كتابته، سنحاوره ونسأله عن ذلك، لنرى ما يقول، طلبت من برنامج الذّكاء الاصطناعيCHAT GPT المرفق على تطبيق الواتساب أن يكتب لي خمس أبيات شعر عمودي عن الأمّ، فكتب:

(أمي رائحة الزهر والبخور ملاك على الأرض، روح النور حنانها شجرة الحياة الدّائمة تظلّلني بظلّ الحب الإيمان قلبها بحر لا نهاية له)

الملاحظة الأولى أنّ ما قيل ليس شعرا ولا إبداعا ولا وزنا ولا نظما، أي أنّه لم يستند على المعايير الأساسيّة في نظم الشّعر، حتّى أن الأسلوب بسيط جدّا لا يرتقي للغة الشّعر أصلا، فهو مجرّد عبارات تصف الأم وتشبّهها بالزّهر والملاك والشّجر والبحر، تشبيه يركّز على عناصر الطّبيعة.

ثمّ طلبت منه كتابة أشهر خمسة أبيات شعر عمودي عن الأم من أشهر القصائد العربية، فقدّم أبياتا وقال أنّها 'للخليل بن أحمد الفراهيدي' وهي:

(أُمُّكَ بالنّساءِ مثلُ القُبّةِ تُشيّع أولادها وتحزنُ وإن عزّ منها أحد وله أخذت على قلبه وتضنُ وإن سألها البيت منعته وإن سألها الدّنيا غمرته) بحثت في صحّة نسبة هذه الأبيات للشّاعر فلم أجدها، ويعني ذلك أنّ برنامج الذّكاء الاصطناعي قد يقدّم معلومات خاطئة ولك أن تتأكد من المعلومات الدينيّة خاصّة.

واصلت الحوار وسألته عن أيّ القصيدتين أكثر فنيّة وشعريّة، فأشار لكون القرار ذوقيا، وراح يقدّم عناصر تساعد في المقارنة بين الأبيات، حيثُ أشار لكون القصيدة الأولى اعتمدت على الصور الشّعرية(التشبيه: أمّك مثل القبّة) والتّكرار وكذا العاطفة، والقصيدة الثانية اتّكأت على التّعبير العاطفي القوي، والاستعارة والتّكرار، وقال: "القصيدة الأولى أقصر وأكثر دقّة في التّعبير، والقصيدة الثّانية أكثر تفصيلا وتعبّر عن عاطفة أعمق، القصيدة الأولى تعتمد على الصورة الشّعريّة بينما القصيدة الثّانية تعتمد على الاستعارات)

لكنّ الحقيقة أنّ النصين السّابقين ليسا شعرا وأنّ نسبة الشعر الثّاني لشاعر عربي خاطئ أيضا.

انتقلت إلى تطبيق الذّكاء الاصطناعي المرفق لتطبيق المسنجر، ونسخت عليه الأبيات الأولى، ثمّ سألته عن العبارات السّابقة الأولى إن كانت شعرا؟ وضمن أي أنواع الشعر تصنّف؟

(فأجاب بأنه شعر عربي تقليدي، وصنّفه عدّة تصنيفات: شعر غزلي كونه يصف الجمال والكمال، وتعليمي كونه يعبّر عن القيم والمبادئ، وديني كونه يستخدم مصطلحات دينيّة كالبعث والإيمان، ثمّ راح يحدّد خصائصه الشّعريّة من سجع وتكرار واستعارة ومجاز).

ختمت الحوار بأنّ العبارات ليست شعرا فتراجع البرنامج عن رأيه السّابق واتفق معي في كون العبارات ليست شعرا وإنّما نص يكتسب صفة جماليّة تعبر عن مشاعر الحب والتقدير للأم بطريقة جميلة ومؤثّرة).

ثمّ انتقلت لمحاورة تطبيق لغوي من تطبيقات الذكاء الاصطناعي ربّما يكون أكثر تميّزا ودقّة من الأول اسمهGoogle Gemini لكنّ النتيجة ليست بعيدة عمّا سبق، وهو ما يؤكّد عجز هذه البرامج عن كتابة الشّعر العربيّ.

2-إشكاليات ناتجة عن التجربة السّابقة:

نقف في الأخير عند إشكاليات عديدة، تتمثّل في الآتي:

-عجز برنامج الذّكاء الاصطناعيCHAT GPT عن كتابة وتأليف الشّعر العمودي، كون الشّعر إبداع وليس علما.

-الخلط بين مفهوم الشّعر والتّعبير الفنّي أو الجمالي.

-احتماليّة تقديم نتائج مغلوطة، وخاصّة إذا تعلّق الأمر بالتّراث الشّعري العربي خصوصا والتّراث عموما.

-غالبا ما يتراجع الذّكاء الاصطناعي عن آرائه ومعلوماته المقدّمة سلفا بمجرّد نفيك لها حتّى وإن كانت صحيحة أحيانا.

- التّعامل مع كلّ الموضوعات على أنّها مسجّلة ضمن خوارزمياته وتقديم معلومات عنها، حتّى وهو عاجز عن فهمها واعتقاده أن الذّكاء الاصطناعي قادر على كلّ شيء، بيد أنّ هناك مواضيع تنبني أساسا على العاطفة لا الذّكاء كالشّعر.

-اعتمد التّطبيق السّابق في الكتابة عن الموضوع المحدّد (الأم) على الذكاء وهو شعر، وطبيعة الشّعر تنبني على التّكثيف العاطفي والشّعوري لا على الذكاء فأخفق في ذلك.

قبل أن نختم تجدر الإشارة إلى وجود جوانب مميّزة تصنعها برامج الذكاء الاصطناعي خدمة للنّصوص الإبداعيّة، تتمثّل في توليد وصناعة المحتويات وفقا لما تمّ تخزينه من خوارزميات، فقد يحوّل النص المكتوب إلى منطوق، وقد يضيف إليه موسيقى وفقا للمطلوب، وقد يحاكي أسلوب الشعر والسّرد البشري لكنّه لن يكتب الشعر كالشّعراء نظرا لخصوصيّاتة الفنيّة والعاطفيّة.

خاتمة:

انطلاقا ممّا سبق تمّ التوصّل للنّتائج التّالية: -تحوُّلات عديدة مسّت الشّكل الأدبي أوّلها الوسيط، فمن الورق إلى الشّاشة، ومن سطور الكتابة إلى الصّور والأصوات والموسيقى، ومن اللّغة الأدبية إلى ما وراء اللّغة من علامات تحتاج التّدقيق في دلالاتها وأبعادها، ومن النّظام المعهود لدى القارئ الورقي من الفصول والبدايات المحدّدة إلى نظام الرّوابط، كما تغيّرت طريقة التلقّي كنتيجة طبيعيّة لذلك، ولمّا كان القارئ المعاصر متعلّقا بالتحولات التّكنولوجيّة تيسّر الطريق من أمامه للحصول على الكتابات الرّقمية في أقصر مدّة زمنيّة وبأسرع الطّرق فبمجرّد توفر الحاسوب والشّبكة تكون النّصوص أمام ناظريه.

- يحتاج الأدب الرّقمي والنص التّرابطي إلى المقاربة الميديولوجيّة، وهي مقاربة متنوّعة المستويات تهتمّ بمختلف مكوّنات النص التّرابطي، انطلاقا من مرحلة التّجوال والإبحار وصولا إلى تقسيم النصّ إلى شذرات صوتية، ونصيّة، وصوريّة وحركية، بالإضافة إلى تحديد خصائص هذا الجنس الأدبي الرّقمي وتفاعلات لغته مع الوسائل الميديولوجيّة،

فيدرس العلاقات التّفاعليّة بينها، كما يحدّد تيمات النص المدروس، وحقوله الدّلاليّة والرّقميّة وكذا الوسائطيّة، دون أن يتجاوز الجانب التّقني البرمجي كهندسة الصّوت مثلا، ليكشف من خلال كل هذا عن عوالم النص الممكنة والافتراضيّة، وتبرز قيمة التّفاعل في القراءة الميديولوجية من خلال تلك الملاحظات والإضافات التي لم تكن متاحة من قبل في إطار النصّ الورقي.

-إشكاليّات عديدة تواجه الأدب والمتلقّي الرّقمي، ففوبيا المعلوماتيّة تقف حاجزا أمام المضي قدما في تأليف العديد من الكتابات الرّقمية والتّفاعليّة، في المقابل كثرة الأعمال النّقدية مقارنة بالإبداعية وإشكاليّة ارتباط ذلك بآليات النّقد الروائي والقصصي وكل ما يرتبط بالنّقد الأدبي دون السّعي في تطوير تلك الآليات كونها تطبّق على نصّ أدبي ورقمي لا يجب تجاوز جانبه البرمجي، إلى جانب إشكاليّة رفض هذا الوافد الذي يراه البعض خطرا يحدّق بالنصوص الورقية ويريد أن يحلّ محلّها.

-توحي آخر تطوّرات المعلوماتيّة والذّكاء الصناعي بخطر محاصرة الذّات الإنسانيّة، مبدعة ومتلقيّة، من خلال ميلاد فكر الموت المتخفّي تحت أستار الكشوفات والتّجارب والبرمجة، وفي ذلك أيضا سعي لتجسيد سياسة التّواكل البشري بالاعتماد المفرط على الآلة دون أن ننسى الإشارة للخطر المحدّق بالخصوصيّة.

-لا يستطيع الذّكاء الاصطناعي كتابة الشّعر وخاصّة العمودي؛ كونه عاجزًا عن التمكّن من خصائصه الأسلوبيّة والفنيّة وكذا الشّكلية، والبنائيّة والشّعريّة والرّمزية.

-يتفوّق الأدب الرّقمي في الشّعر تحديدا على الذّكاء الاصطناعي، كون الأوّل لا يتجاوز الخصائص الفنيّة فيه.

-يصعب على الذكاء الاصطناعي محاكاة الشّعر باعتباره مرتبطًا أكثر بالعواطف وبتجارب حياتيّة معاشة ومواقف أثّرت في نفسيّة الإنسان المبدع.

قائمة المصادر والمراجع:

Seyer, P. (1991). Understanding Hypertext Concepts and Applications. *1 st*. USA: Windcrest book.

-البريكي, ف. (2005). مدخل إلى الأدب التّفاعلي. *ط. 1*. الدار البيضاء, المغرب: المركز الثقافي العربي.

-السناجلة, م. (2020). الأدب الرقمي أدب المستقبل (*العدد 1*). عمان-الأردن.

-الشمري, ح. م. (2020). الأدب الرّقمي بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثّقافي. *ط. 1*, 12. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

-النور, ع. ع. (2005). مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي. 91. المملكة العربيّة السعودية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنيّة.

-بلبركي, ف., & السعيد, ض. (2021). إشكالات الكتابة النّقديّة المغاربية في مقاربات الأدب الرّقمي (المفهوم، المنهج، القراءة). *10(2)*. الجزائر: مجلة إشكالات في اللغة والأدب.

-بلبركي, ف., & السعيد, ض. ا. (2021). إشكالات الكتابة النّقديّة المغاربيّة في مقاربات الأدب الرّقمي(المفهوم، المنهج، القراءة). *10(2)*. الجزائر.

-حمداوي, ج. (2017). المقاربة الميديولوجيّة، نحو مشروع نقدي عربي جديد في دراسة الأدب الرقمي. *ط. 1*.

-حمداوي, ج. (s.d.). الأدب الرّقمي بين النظريّة والتّطبيق (نحو المقاربة الوسائطيّة). المغرب.

-حمداوي, ج. (s.d.). المقاربة الميديولوجية، نحو مشروع نقدي عربي جديد في دراسة الأدب الرقمي. *2017*.

-سعيد يقطين. (2005). من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليّات الإبداع التّفاعلي. بيروت، لبنان: المركز الثّقافي العربي.

-قريرة, ح., & فائزة, خ. (2021). السّرد التّفاعلي والمسار الحلزوني: تبادل الأدوار في السّرد التّفاعلي(مؤلّف النواة، السّارد، المتلقّي، الناقد). برلين, ألمانيا: المركز الدّيمقراطي العربي.

-يقطين, س. (2005). من النص إلى النص المترابط، (مدخل إلى جماليّات الإبداع التّفاعلي). *ط. 1*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي